الموقفَيْن العربيّ والأوروبيّ من الرقيق الأفارقة

في القرنَيْن (10 و 11) الهجريّين / (15 و 16) الميلاديّين

د. بشار أكرم الملاح
كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق

في الوقت الذي رفع فيه الإسلام مكانة الإنسان، ودعا إلى احترامه ومنحه حقوقه كاملة، ومنع التفريق بين البشر على أساس الجنس أو اللون أو العِرْق، كان الظلم والقهر والسيطرة على المقدّرات في العصور الوسطى هي السائدة في المجتمع الأوروبي، فقد كانت الحياة فيه تسير وفق نظامَيْن رئيسَيْن، هما: (الإقطاع، والرِّق)، قسما المجتمع إلى: سيّدٍ إقطاعيٍّ وقِنٍّ في الأرض، وسيّدٍ مالك وعبدٍ مملوك.

وقد اختلفت الآراء حول نظام الإقطاع، فمنهم من عمل فيه وشجّعه، ومنهم من عانى منه وحاربه، ولم تكن محاربته سهلةً في ذلك الوقت؛ بسبب تغلغله في المجتمع وسيطرته على كلّ المفاصل فيه[١]، والأمر نفسه ينطبق على نظام الرِّق، فقد ظهر منذ عصور قديمة، وعُمل فيه كنظام اجتماعيٍّ متكاملٍ[٢] سائد، يعتمد من خلاله المجتمع على قدرات الرقيق الجسمانية في جميع مجالات الحياة؛ لحدٍّ يجعل التفكير بإلغائه لم يكن بالأمر اليسير[٣].

واختلفت بناءً على ذلك طريقة التعامل مع الرقيق بين شعبٍ وآخر، فمن الرقيق مَن تعرّض للقتل والتعذيب وسمل العيون وتقطيع الأطراف، كرقيق الرومان واليونان والهند والمصريين القدماء.. وغيرهم من الشعوب[٤]، بينما كانت معاملة الرقيق أفضل عند العرب قبل الإسلام في بلاد الحجاز واليمن، حيث كانت العقوبات أقلّ قسوة[٥].

وقبل ظهور الإسلام وبعده؛ بدأت إفريقيا جنوب الصحراء[٦] ترفد المنطقة العربية

لقد تسبّب رأي الأوروبيين بالرقيق الأسود القاضي بضرورة استرقاق الجنس الأسود لخدمة الجنس الأبيض إلى إفراغ القارة الإفريقية من شبابها

بالرقيق الذين سيركّز البحث على المقارنة بين معاملتهم من قِبل العرب ومن قِبل الأوروبيين، ويحاول البحث الإجابة عن تساؤلٍ يتمثّل في: مَن المسؤول عن تجارة الرقيق في إفريقيا: العرب أم الأوروبيون؟ وما رأي الفريقَيْن بالأفارقة بوصفهم بشراً بشكلٍ عامٍّ، ورقيقاً بشكلٍ خاصّ؟

ولكي تكون المقارنة واضحةً بين العرب والأوروبيين؛ فقد تمّ تقييده بمدّة زمنية كان فيها الوجود الأوروبي في المنطقة قد بدأ وظهر جليّاً، وهي القرنان: (العاشر، والحادي عشر) الهجريّان / (السادس عشر، والسابع عشر) الميلاديّان.

ومن أبرز الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع بشكلٍ مباشرٍ مجموعة بحوث في كتاب: (مسألة الرّق في إفريقيا من خلال الموقفَيْن الأوروبيّ والعربي)، الصادر في تونس سنة ١٩٨٢م، بقلم جهاد مجيد محي الدين، إذ ناقشت تلك البحوث الآثار السلبية للرّق على القارة الإفريقية، وكذلك بحث بعنوان: (تجارة الرقيق في إفريقيا من خلال الموقفَيْن الأوروبي والعربي)، بقلم إبراهيم حركات، تحدّث فيه عن

(١) إبراهيم هاشم الفلالي: لا رقّ في القرآن (القاهرة – د/ت)، ص (٣٠-٣١).

(٢) أبو بكر الجزائري: منهاج المسلم، دار الكتب السلفية، (القاهرة – ١٤٠٦هـ)، ص ٥٠٢.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت – ١٩٨٨م)، مج ١٧، ص (١٨٢-١٨٣).

(٤) الفلالي، لا رق في القرآن، مصدر سابق، ص ٢٣.

(٥) أحمد شلبي: مقارنة الأديان (الإسلام) (القاهرة – ١٩٦٧م)، (٢٢٨/٣).

(٦) إفريقيا جنوب الصحراء: هي المنطقة الجغرافية التي يحدّها من الشمال الصحراء الكبرى، ومن الشرق البحر الأحمر والمحيط الهندي، ومن الغرب المحيط الأطلسي، وتسمية المنطقة جاءت لوقوعها جنوب الصحراء الكبرى، وهي التسمية التي اعتُمدت من قِبل الأوربيين، فيما أطلق المؤرخون المسلمون تسمية بلاد السودان عليها تبعاً للون بشرة السكان. ينظر: عبد القادر زبادية: مملكة سنغاي في عهد الأسقيين، (الجزائر – د/ت)، ص (١٥-١٦).

الموقفَيْن في فتـــرةٍ حديثة، امتدت حتى القرن الثامن عشـــر الميلادي، إلا أنّ تلك البحوث لم تجب عن ذلك التســـاؤل بشـــكلٍ واضح، حيث ركّزت علـــى نتائج الرّق على القـــارة الإفريقية دون الخوض في تحديد الجهة التي شرّعت تلك العملية وحوّلتها لتجارةٍ رائجة.

وجـــاء بحثنا هذا الـــذي نتمنّى أن يكون قد أضاف شـــيئاً مفيداً للموضوع، لكي يســـتطيع القارئ عبره أن يميّز بين معاملة كلٍّ من الجانبَيْن لأبناء تلك المنطقة الذين ظُلموا عبر العصور.

أولاً: الموقف العربي:

أمـــام كلّ ذلـــك ظهـــر الإســـلام بتعاليمه السّـــمحة، وتعامل مع الرّق على أســـاس كونه حالةً اجتماعيةً سائدة في المجتمع العربي، لذا فقد أبقى الإسلام على نظام الرّق، وتعامل معه كتعامله مع بقية المسائل؛ مستخدماً التدريج في القضاء عليه[١]، وقد ركّزت التعاليم الإســـلامية على تجفيف منابعه الكثيرة، والمتمثلة في: (رقّ الحروب، ورقّ الوراثة، ورقّ الدين)، وغيرها كثير، وحصرها في منبعَيْن فقط، هما: (رقّ الحروب، ورقّ الوراثـــة)، وإبقائه لرقّ الحرب كان نابعاً من أنّ إلغاء ذلك الباب من أبواب الرّق سوف يجعل من أسرى المســـلمين عبيداً لدى العدو مقابل إطلاق سراح أسراهم[٢].

إلا أنّ الإســـلام في الوقت نفسه عمل على فتـــح أبواب عديدة لتحريـــر الرقيق؛ مما عجّل بإنهاء ذلك النظام بشكلٍ تدريجي، فأصبح لزاماً على الســـيّد أن يعتق عبده إذا ما ضربه متعمّداً ودون ســـبب[٣]، وإذا ما ادّعى العبـــدُ بأنه حرٌّ وأصرّ على ذلك فهو حر[٤]، كما أنّ كفّارة الوطء في رمضان هي عتق رقبة[٥]، والحنث في اليمين كفّارته عتق رقبة[٦]، وفي حالة حدوث الظواهر الطبيعية، كالخسوف والكسوف، فإنَّ ما يتقرب إلى الله به في تلك الحالة عتق الرقاب[٧]، فضلاً عن فتحـــه باب التحرير عن طريق المكاتبة بين الســـيّد وعبده على مبلغ من المال إذا ما سدّده العبدُ فهو حر[٨]، كمـــا أَنّ الأَمَة التي تنجب من سيّدها تصبح أمّ ولدٍ وتتحرر[٩]، وهكذا في كثيرٍ من الأمور، بل إنّ الكلمة التي أُطلقت على العبيد كانت تدل على التســـامح والمحبة، وهي: الرِّق، والتي تعني الرقة والرفق وحســـن المعاملة؛ لأنّ العبودية لله وحده فقط[١٠].

ولـــم يكن هـــذا الـــرأي في مســـألة الرّق والتعامل الحسن للمســـلمين مع رقيقهم خاصّاً بجنـــسٍ مُعين؛ بـــل مع جميع أجنـــاس الرقيق، ومنهم الرقيق «السودان»، كما أطلق ذلك عليهم

(١) أبو الأعلى المودودي: تفسير سورة النور، دار الفكر، (لاهور – ١٩٥٩م)، ص ١٨٩.

(٢) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد (القاهرة – ١٩٦٦م)، (٣٩٧/١).

(٣) صحيح مسلم، (١٢٧/١١)، وقال بعض السلف: «لا تضرب المملوك في كلّ ذنب، ولكن احفظ له ذلك، فإذا عصى الله فاضربه على معصية تذكره الذنوب التي بينك وبينه»، انظر: شمس الدين محمدٌ بن أحمد بن عثمان الذهبي، كتاب الكبائر، (بيروت – د.ت)، ص ٢٠٤.

(٤) مالك بن أنس: المدونة الكبرى، رواية الإمام سحنون بن سعيد، مطبعة السعادة، (القاهرة – ١٣٢٣هـ)، (٧٥/٧).

(٥) موفق الدين أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة، المغني (بيروت – ١٩٧٢م)، (٦٥/٣).

(٦) ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد، (٤٢٩/١).

(٧) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، (بغداد – ١٩٨٦م)، (٧٩/٢).

(٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تفسير القرآن، (بيروت – ١٩٧٢)، (١٠١/١٨).

(٩) ابن رشد القرطبي: بداية المجتهد، (٤٢٨/٢)؛ الجزائري: منهاج المسلم، ص (٥٠٥-٥٠٦).

(١٠) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب (بيروت – ١٩٩٧م)، (١٢٣/١٠).

المؤرخون العرب نسبةً لسواد ألوانهم[١]، فمع بداية الدعوة الإسلامية كانت مكة وبقية الجزيرة العربية حافلة بأعدادٍ كبيرةٍ من الرقيق السود؛ الذين ما لبث الكثير منهم أن تعرّف على تعاليم الإسلام الداعية للتسامح مع الجميع، وأنها لا تفرّق بين العبد وسيّده، فالناس جميعاً سواسية، وأنّ تنوع القوميات وتعدّد الألوان مرحّبٌ به من قِبل العرب المسلمين، فقد قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات : ١٣]، فعلم أولئك الرقيق أنه الدين الحقّ، وأقبلوا إليه بقوة، ودخلوا فيه، ولم يتركوه برغم التعذيب الشديد الذي تعرضوا له[٢].

لقد كان في مقدمة أولئك الرقيق الذين حصلوا على حريتهم بعد دخول الإسلام: سيّدنا بلال الحبشيّ رضي الله عنه، والذي ذاق التعذيب على يد مشركي مكة، فقام سيدنا أبو بكر الصديق- رضي الله عنه- بشرائه وتحريره؛ ليصبح واحداً من الصحابة الأجلاء حاله حال أيّ صحابيٍّ كان في الجاهلية سيّداً في قومه، وفي ذلك قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أبو بكر سيّدُنا، وأعتق سيّدَنا-يعني: بلالاً-»[٣]، بل إنّ سيدنا بلال تميّز عن غيره من الصحابة بأن أصبح مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان له شرف الصعود على ظهر

كان في مقدمة أولئك الرقيق الذين حصلوا على حريتهم بعد دخول الإسلام: سيدنا بلال الحبشيّ رضي الله عنه

الكعبة الشريفة والآذان عند فتح مكة دون غيره من الصحابة[٤].

فضلاً عن ذلك؛ فإنّ عدداً من الرقيق، ولاسيما الأسود، كان قد رفض العودة إلى بلاده بعد تحريره، وذلك بسبب المعاملة الحسنة التي كانوا يلقونها في بلاد الإسلام على يد سادتهم الذين امتثلوا لأقوال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، حينما نصحهم بالإحسان إلى رقيقهم قائلاً: «إنّ إخوانَكم خَوَلُكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه ممّا يأكل، وليُلبسه ممّا يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإنّ كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم»[٥].

لقد جاء الإسلام ليؤكّد أنّ الأصل هو الحرية لجميع البشر من خلال الإيمان بأنهم متساوون أمام الله تعالى، ولهذا اعتمد المسلمون أسلوب

(١) أبو عبيد الله محمد بن أبي بكر الزهري: كتاب الجغرافية، (دمشق – ١٩٦٨م)، ص ٩٣؛ أحمد بن علي القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (بيروت – ١٩٨٧م)، (٢٧٢/٥).

(٢) محمد بن عبدالملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي، (القاهرة – ١٩٥٥م)، ق١، ص ٣٢١.

(٣) صحيح البخاري، رقم (٧٣٤٥).

(٤) أبو عثمان بن عمرو بن بحر البصري الجاحظ، رسائل الجاحظ (القاهرة – ١٩٦٤م)، (١٨٠/١).

(٥) صحيح البخاري، (٨٣/٢)؛ أبو عبدالله محمد بن يزيد القزويني المعروف بابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، (بيروت – د.ت)، ص ١٢١٦. وكان من حقّ العبد على سيّده أن يوفّر له ماء طهارته أو تراب تيمّمه، وبقية الأمور فضلاً عن طعامه وشرابه. انظر: محمد الخطيب الشربيني: مغني المحتاج إلى معرفة معاني المنهاج، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي، (القاهرة – ١٩٥٨م)، (٤٦٠/٣).

التعامل بالحسنى مع الأرقاء[١]، كما أنّ المجتمع العربيّ لا ينظر إلى الناس وفق معيار اللون، أو العنصر، أو الطبقة، بل من خلال العقيدة بالنسبة للعرب المسلمين، ومن خلال الرابطة الإنسانية بالنسبة لغير المسلمين[٢].

وانطلاقاً من مبدأ المساواة بين السيّد وعبده في الإسلام؛ فقد ارتدى الرقيق الملابس التي يرتديها الأحرار، في صدر الإسلام وما تبعها من عصور، فكان العبد في المجتمع العربيّ يشابه سيّده في ملبسه ومشربه ومسكنه أثناء مدّة رقّه أو بعد تحوّله إلى مولى[٣]، بل وصلت هذه المساواة بين السادة ورقيقهم إلى حدٍّ جعل الإماء يلبسن الحليّ أكثر من سيّداتهنّ، وقد برز ذلك خلال العصر العباسي[٤]، ولم يكتف العرب بإزالة الفوارق بينهم وبين رقيقهم فحسب؛ بل كانوا لا يميّزون بين رقيقهم وأفراد عوائلهم[٥].

وقد اعترف بعض رجالات الغرب ومؤرخيهم بحسن المعاملة الإنسانية التي عامل بها العرب رقيقهم، إذ يقول ديورانت بربا روسا: «حال الرقيق في منبسا[٦] تدلّ على ما لأسيادهم العرب هناك من إنسانية، يعجز الواحد أحياناً أن يميّزهم عن أسيادهم، إذ يبيح هؤلاء لهم أن يقلّدوهم في اللباس، وفي غيره من شؤون العيش»[٧]، كما أكّد ذلك زويمر بقوله: «إنّ بين الأوروبيّ والإفريقيّ هوّة تفرّق بينهما، والمسلمون تمكّنوا من إزالة هذه الهوّة التي كانت بينهم وبين الزنوج»[٨]، فضلاً عن ذلك فقد أشار المستشرق (آدم سمث) إلى المسألة نفسها بقوله: «إنّ كثيراً من الرجال الإنكليز الذين يعدّون أنفسهم مسيحيّين طيّبين لن يجول بخاطرهم الإقرار بالزمالة مع المسيحيين من سود البشرة، أما المسلمون فلا يفرّقون، فالعرب والزنوج والبربر إخوة في الدين، ولا يختلط بعضهم بالبعض الآخر في العبادة فحسب، وإنما يعاون بعضهم بعضاً عن طيب خاطر في شؤون الحياة اليومية»[٩].

ويؤكد كاتبٌ أوروبيّ آخر أنّ الرّق عند المسلمين يختلف عن الرّق عند النصارى، وأنّ حال الأرقاء في الشرق أفضل من حال الخدم في أوروبا، لأنّ الرقيق في الشرق هم جزءٌ لا يتجزّأ من أسرة السيّد، بل إنّ الرقيق يستطيعون الزواج من بنات سادتهم بعد التحرير[١٠].

فضلاً عن ذلك؛ فقد كان للرقيق عموماً،

(١) عباس محمود العقاد، داعي السماء – بلال بن رباح –، (القاهرة – ١٩٤٥م)، ص ٧٢.

(٢) يوسف القرضاوي: ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، مؤسسة الرسالة، ط١، (بيروت – ٢٠٠١م)، ص ٩٩.

(٣) المولى: وهي كلمة أُطلقت للدلالة على صلة القرابة أو صلة الرحم، كما كانت الكلمة تدلّ- ولاسيما قبل الإسلام- على الحلف والاتفاق بين أطراف يقرّرون التعاون والنصرة بينهم، وفي الإسلام دلّت الكلمة على الداخلين في الإسلام من غير العرب، ومعناها هنا خاصٌّ بالرقيق، والمسمّى: «ولاء العتاقة» حينما يعتق السيد عبده. ينظر: ابن منظور، لسان العرب: (٢٨٩/٢٠).

(٤) محمد بن عبدوس الجهشياري: الوزراء والكتاب، (مصر – ١٩٣٨م)، ص ٢٥١.

(٥) أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة – د/ت)، (٤١١/١).

(٦) منبسا: وتسمّى أيضاً: «ممبسا»، وهي إحدى أهمّ وأقدم المُدن التي أسّسها المسلمون على الساحل الشرقي الإفريقي، وبلغت أوج ازدهارها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. ينظر: أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي: كتاب الجغرافية، (بيروت – ١٩٧٠م)، ص ٨٣.

(٧) دافدسن: إفريقيا تحت أضواء، ص ١٧.

(٨) نقلاً عن الجندي، الإسلام، ص ٩٤.

(٩) محمود سلام زناتي: الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقيا، (بيروت – ١٩٦٩م)، ص (٢٤٧-٢٤٨).

(١٠) غوستاف لوبون: حضارة العرب، (القاهرة – ١٩٥٦م)، ص ٣٧٦.

والســـودان خصوصـــاً، دورٌ واضحٌ فـــي الدولة العربيـــة الإســـلامية، فقد تولّوا قيـــادة بعض فرق الجيش[١]، وفي بعـــض الأحيان كانوا قادة سياســـيّين[٢]، فالإســـلام لم يفرّق بينهم وبين الأحـــرار[٣]، ولـــم يتعامل معهم وفـــق نظرتهم الوثية للمجتمع والقائمـــة على نظام الطبقات التي ورثوها عن أسلافهم[٤]، وعلى هذا الأساس فقد تســـلّم عددٌ من الرقيـــق والموالي مناصب سياســـية وإدارية مهمّة[٥] داخل إفريقيا جنوب الصحـــراء وخارجهـــا[٦]، فقد أســـهم الرقيق الســـودان في تشكيلات بعض الجيوش العربية، كالجيش الفاطمـــيّ الذي ضمّ أعداداً كبيرة من الجند السودان، وخصوصاً على عهد المستنصر الفاطمي[٧]، فضلاً عن تســـلّم الرقيق السودان مهمّات إدارية في قصور الطولونيين، فقد عُيّن حاجبٌ أسود للنظر في جنايات الغلمان السودان وحلّ مشكلاتهم، اسمه: «الدرمون»، يجلس عند أحد أبواب الميدان المطلّ على القصر[٨].

وكدليلٍ علـــى الحرية التـــي كان يتمتع بها الرقيق السود خارج بلادهم: تحركهم بحريةٍ تامّةٍ واندماجهم مع بقية فئات المجتمع، ومشاركتهم في التغييرات السياســـية في البـــلاد، وهو ما حصل في مصر خلال عـــدة عهود، وصولاً إلى حكم المماليك لمصر، بل حدثت ثورات عديدة للعبيد السود كان من بينها ثورتهم في مصر سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م[٩].

فضلاً عن ذلك؛ فقد شـــارك الرقيق السود أهـــل المغرب العربـــيّ في جوانـــب كثيرة من حياتهـــم، فنجدهم في بلاطـــات الملوك وعلية القوم، كما نجدهم مقاتلين في الجيش، وفلاحين في الواحات الصحراوية، وعمّالاً يســـتخرجون المعادن، بل تجّاراً يقودون القوافل التجارية إذا ما نالوا ثقة رؤسائهم[١٠].

كما تســـلّم بعـــض الرقيق الســـودان بعد تحريرهم مناصب سياسيةٍ وإداريةٍ داخل بلادهم، وهـــو الذي حصل في دولـــة مالي حينما أصبح ساكورة[١١] حاكماً للفترة (٦٧٤-٦٨٤هـ/١٢٧٥-

(١) L.A.Lugard, A tropical dependency (Anoutline of the Ancient History of the Western sudan (London :1964), P.145.

(٢) أبو عبيدالله بن عبدالعزيز البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشره: ديلان، (الجزائر – ١٨٥٧م)، ص ١٤٩؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار، (٢٦/٢).

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، (٣٢٣/١٦).

(٤) إبراهيم حركات: تجارة الرق بإفريقيا من خلال الموقفَيْن الأوروبي والعربي، بحث منشور في كتاب مسألة الرّق في إفريقيا، (تونس – ١٩٨٢م)، ص ٧٨.

(٥) كان أول حاكم في دولة بني مدرار في سِجِلْماسَةُ هو الأمير عيسى بن يزيد يعود في الأصل إلى أمٍّ من رقيق إفريقيا. وللمزيد عن دولة بني مدرار والأمير عيسى انظر: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (بيروت – ١٩٥٦م)، (١٣٠/٦).

(٦) المقريزي: المواعظ، (٢٦/٢).

(٧) جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – د/ت)، (٧٩/٤).

(٨) المقريزي: المواعظ، (١٢٣/٢).

(٩) جمال الغيطاني: ملامح القاهرة في ألف سنة، دار نهضة مصر، (القاهرة – ١٩٩٧م)، ص (١١٣-١١٤).

(١٠) ماجدة كريمي: العلاقة بين المغرب والسودان على عهد المرينيين، العدد (٢٦٩)، (أبريل ١٩٨٨م)، ص ٢٥٠.

(١١) ساكورة: لقد ورد الاسم بصيغ متعددة في المصادر العربية، فقد ذكره القلقشندي باسمٍ «ساكورًة»، انظر: صبح الأعشى، (٢٩٤/٥)، كما سماه ابن خلدون: «ساكبورة»، انظر: العبر، (٤٣٣/٥-٤٣٤)، وسمّاه المقريزي: «صاكورة»، انظر: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة – ١٩٥٥م)، ص١١١، وهو أحد موالي أسرة كيتا، ومن الصعوبة معرفة أصله. ينظر: Murphy, History of African, p.117.

١٢٨٥م)[١]، وهو رجـلٌ ذو إمكانيات عالية، وله شعبية كبيرة في أوسـاط الماليين[٢]، إذ أصبح في نظر الشـعب الحاكم القويّ الذي أعاد إلى مالـي هيبتها، وحرص أشـدّ الحرص على مدّ نفوذها[٣].

لقد شنّ سـاكورة الكثير من الهجمات على أعدائه من أجل اسـتعادة ممتلكات مالي، فقد بدأ بالهجـوم على صنغـاي[٤] لإخضاعها بعد أن خرجت عن سـيادة مالي، إذ اسـتولى على العاصمـة (غـاو) المنيعة على مَن سَـبَقه من السلاطين[٥]، كما افتتح كوكو[٦]، وأشار إلى ذلك ابن خلدون[٧] بقوله: «وافتتح بلاد كوكو وأصارها في مملكة أهل مالي»، فاتسـع نطـاق مملكته ليصبح مسـيطراً علـى أراضٍ واسـعةٍ، تمتد من المحيط الأطلسـيّ إلى بلاد تكرور، فقوي سلطانه، وحسب له أعداؤه ألف حساب[٨].

وفي دولة السـنغاي كان مستشـار الأسكيا الحاج محمد الأول[٩] وأمين سـرّه من الرقيق، يرافقه في جميع رحلاته.

وفي «كانو»[١٠] كان حاكمها محمد رومفا[١١] قد عيّن عدداً من الرقيق الخصيان في وظائف سياسيةٍ مهمّة[١٢]، وحينما سيطر بغودا[١٣] على عرش مقاطعة «دورة» في «كانو» كان في جيشه عددٌ كبيرٌ من الرقيق، تسـلّم عددٌ منهم الحكم في تلك المقاطعة، حتى سقط حكمهم في سنة (٨٢٨هـ/١٤١٩م)[١٤].

فضلاً عن ذلك؛ فقد أسهم الرقيق الأفارقة

(١) إبراهيم علي طرخان: دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة – ١٩٧٣م)، ص ٦٨.

(٢) Murphy , History of African , p. 117.

(٣) طرخان: دولة مالي، ص ٦٩.

(٤) صنغاي: قبيلة إفريقية تعيش في إقليم يقع في أواسط النيجر، ويمتهن أفرادها صيد الأسماك وزراعة الدخن، وفي القرن الأول الهجري/السابع الميلادي انتظمت تحت سلطة واحدة، تحكمها عائلة قيل إنها قادمة من المغرب العربي، عُرفت باسم: (عائلة ضياء)، قامت فيما بعد بتأسيس مملكة إسلامية في غرب إفريقيا على أنقاض دولة مالي الإسلامية. ينظر: دريد عبد القادر نوري: تاريخ الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء من القرن ٤-١٠هـ/١٠-١٦م، ط١، (الموصل – ١٩٨٥)م.

(٥) Lugard , P.120.

(٦) كوكو: اسم أمّة وبلاد من السودان، وملكهم يظاهر رعيته بالإسـلام، وأكثرهم يظاهر بـه، ولـه مدينة على النيل (النيجر) اسمها: «سرناة»، فيها أسواق ومتاجر. ينظر: شهاب الدين أبـو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: معجم البلدان دار صـادر، ط٢، (بيـروت – ١٩٩٥م)، (٤/٤٩٥).

(٧) ينظر: العبر: (٦/٢٠٠) و (٥/٤٩٤).

(٨) القلقشندي: صبح الأعشى، (٥/٢٦٤).

(٩) الأسكيا الحاج محمد: أحد حكام دولة السنغاي الإسلامية في غرب إفريقيا، قام بثورة سنة (٨٦٢ هـ/١٤٩٣م) ضد حاكم البلاد (علي كلن)، وتسلّم السلطة بدلاً عنه؛ مبتدئاً حكم أسرة الأسقيين التي حكمت البلاد حتى عام ١٥٩١م. ينظر: نوري، تاريخ، ص ١٥٥.

(١٠) كانو: من مدن بلاد الهوسا المهمّة في وسط إفريقيا، وتقع على بعد (٥٠٠ ميل) إلى الشرق من نهر النيجر. ينظر: نوري، تاريخ، ص ٢٩٥.

(١١) محمد رومفا: أبو عبد الله محمد بن يعقوب، حكم بلاد كانو للمدة (١٤٦٣م – ١٤٩٩م)، وكان مهتمّاً بالعلم، استقبل في بـلاده العالم الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتعلّم على يده، وأخذ عنه الكثير من المعلومات المفيدة في إدارة البـلاد. ينظر: أ.م.كـانـي: مظاهر الاتصالات الفكرية والثقافية بين شمال إفريقيا ووسط السودان بين سنة (٧٠٠م –١٧٠٠م)، مع إشارة خاصّة إلى كانم – برنو، وأرض الهوسا، منشور في مجلة البحوث التاريخية، س٣، ع١، (ليبيا: ١٩٩٧)، ص ١٨.

(١٢) مهدي أدامـو: الهوسا وجيرانهم في السودان الأوسط، بحث منشور في كتاب تاريخ إفريقيا العام، (اليونسكو – ١٩٨٨م)، (٤/٢٧٩).

(١٣) بغودا: ابن باو بن بايزيد حاكم بلاد الهوسا (نيجيريا)، أرسله أبوه لحكم دورة من بلاد كانو بعد أن سيطر عليها. ينظر: آدم عبد الله الآلوري: موجز تاريخ نيجيريا، (بيروت – ١٩٦٥م)، ص ٨٠.

(١٤) الآلوري، المرجع نفسه، ص ٨١.

في نجاح الكثير من معارك دولة السنغاي ضدّ الوثنيّين، فقد كانت تشكيلات الجيش، ولاسيما صنف المشاة، يزخر بالمقاتلين الأشدّاء الذين أخضعوا كلّ وادي النيجر تحت راية الإسلام[١]، كما أسهم الرقيق في تشكيلات الحرس الملكيّ التي تقوم بمهام حماية السلطان أو الحاكم في البلاد؛ لما يتمتّع به أفراد ذلك الصنف من موهبة قتالية وتدريب عالٍ وانضباط وأمانة، للحدّ الذي دفع بحكّام البلاد لاختيار قادتهم العسكريين من بين أبناء ذلك الصّنف[٢].

ويبدو- مما سبق وغيره- بشكلٍ جليٍّ اندماج الرقيق الأفارقة في الدولة العربية الإسلامية، ومعاملتهم معاملة الأحرار في المشرق والمغرب الإسلامي.

ثانياً: الموقف الأوروبي:

على عكس موقف العرب من الرقيق الأسود ورأيهم فيه، جاء موقف الأوروبيين من تلك المسألة ورأيهم فيها؛ متمثّلة في المعاملة السيئة التي عاملوا بها الرقيق الأسود، فقد دُعم الرأي الأوروبي بإباحة تجارة الرقيق بموقف علماء اللاهوت والمسؤولين في أوروبا؛ بدعوى أنّ الإفريقيين أفضل حالاً في ظلّ الإشراف المسيحيّ منه عند الوثنيين أو العرب من ملاك الرقيق، وأفادت تلك الحجّة أنه طالما كان الرّق شيئاً طبيعياً عند الإفريقيين فما على الأوروبي إلا أن يتأكد من أنّ العبد المشترَى يُستعبد بطريقة عادلة تتماشَى والقانون الإفريقي[٣].

وأمام ذلك؛ فقد عمل الغرب المسيحيّ على تبرئة نفسه من تدمير القارة الإفريقية بالرّق،

(١) نوري: تاريخ، ص ١٥٦.

(٢) زبادية: مملكة سنغاي، ص (٦٦-٦٧).

(٣) دونالد ويدنر: تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، دار الجيل للطباعة، (القاهرة - د/ت)، ص ٧٧.

رأى الغرب أنّ الإفريقيّ فاقدٌ للإنسانية، وباسترقاقه سوف يحصل على حياة أفضل

ووضع اللوم على العرب، وإظهار العربيّ بمظهر تاجر الرقيق المعلّم لبقية الأمم لهذه الفتنة، وتشويه صورته أمام الأفارقة، وزرع الحقد والكراهية في نفوسهم تجاه العرب[٤]، فيذكر جيمس ويللارد[٥] «أنّ استغلال العمال السود كان تقدمة العرب للبشرية؛ لأنهم هم الذين نظّموا هذه التجارة الواسعة بالبضاعة الإنسانية من إفريقيا إلى موانئ الأطلسيّ والمتوسط».

ويبدو أنّ المؤلف «ويللارد» لم يسمع بالمعاملة الحسنة التي لاقاها الرقيق بشكلٍ عامٍّ على يد العرب؛ مقابل ما لاقاه الأفارقة على يد الغربيين وباعترافهم أنفسهم.

فقد تشكّلت شركات خاصّة بعملية نقل الرقيق إلى أوروبا، كشركة غينيا الفرنسية، وشركة البحر الجنوبي الإنكليزية[٦]، إلا أنّ البرتغاليين كانوا قد سبقوا تلك الشركات وأرسلوا أول شحنة إلى خارج إفريقيا عام

(٤) أحمد مشهور الحداد: حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقيا الشرقية، ص ٢٥.

(٥) جيمس ويللارد: الصحراء الكبرى، ط١، (بيروت - ١٩٦٧)، ص ١٥٤.

(٦) عبدالسلام الترمانيني: الرق ماضيه وحاضره، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت - ١٩٧٩م)، ص ١٥٦.

١٤٤٢م؛ حينما أهدى هنري الملاح[١] عدداً من رقيقها إلى البابا، وباع الباقي في أسواق لشبونة[٢]، ليحصل بعدها على موافقةٍ رسميةٍ من البابا بعد أنّ أعلن أنه يعمل على استرقاق «الكفرة» من الأفارقة؛ مما أعطاه غطاءً جيداً لتحركاته[٣].

ويشير شهود العيان من الأوروبيين أنّ نهاية القرن الخامس عشر الميلاديّ شهدت بيع العبد الأسود مقابل اثنتي عشرة أو خمس عشرة قطعة من الأساور النحاسية[٤]، فقد كان التجار الأوروبيون الساكنون على الساحل الإفريقيّ يشترون الرقيق من الداخل الإفريقي بأبخس الأثمان، ويبيعونه بثمنٍ مرتفعٍ على الساحل[٥].

لقد تسبّب رأي الأوروبيين بالرقيق الأسود القاضي بضرورة استرقاق «الجنس الأسود» لخدمة «الجنس الأبيض» إلى إفراغ القارة الإفريقية من شبابها، ففي سنة ١٤٤٨م تركزت في مدينة إرغان تجارة نظامية تقوم على مبادلة البضائع بالبشر، وبعد سنة ١٤٦٠م كان يقصد البرتغال وأسواقها قرابة ١٠٠٠ عبد سنويّاً[٦]، يتمّ استخدامهم في مزارع البرتغال وإسبانيا؛ إذ كانوا يُباعون إلى نبلاء الأسبان ليعملوا عمالاً في أراضي الريف الواسعة، فضلاً عن عمل آخرين في الجزر المقابلة للساحل الغربي الإفريقيّ التي تمّ اكتشافها، مثل ماديرا وجزر الكناري والرأس الأخضر وساوتوميه وبرنسيب، والتي زُرعت بالكروم وقصب السكر والخضروات وأنواعٍ من الفواكه[٧].

وكان جُلب الرقيق الأسود للعمل في تلك المزارع بسبب فشل العمّال السابقين من الهنود الحمر في تلك الأعمال؛ مما شجّع تجار الرقيق الأوروبيين ورجال السياسة، بالتعاون مع رجال الدين، في استصدار قرارٍ بمشروعية استرقاق السود، وبرغم ما قام به أولئك السود من ثورات ضدّ الظلم والتعذيب الذي تعرّضوا له خلال استرقاقهم؛ فإنّ البرتغاليين وغيرهم من المحتلين نجحوا في استرقاقهم، وفصلهم عن عوائلهم وأوطانهم، فعاشوا في محيطٍ غير مألوفٍ لهم، فهم لا يعرفون لغة الأهالي وعاداتهم[٨].

لقد عملت شركات تجارة الرقيق الغربية- المدعومة من قِبل حكومات البلدان التي تنتمي إليها- على تشويه صورة الأفارقة الذين تجلبهم كرقيق، فعملت تلك الشركات في البداية على خلق الفتن بين الإفريقيين أنفسهم، وتحفيز رؤساء القبائل وعلية القوم على اقتناص أبناء قبائلهم وبيعهم لتلك الشركات من خلال مبدأ

(١) هنري الملاح: هو ابن الملك يوحنا ملك البرتغال، عمل هنري في الكشوف الجغرافية بمباركة البابا نيقولا الخامس. ينظر: علي محمد محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، ط١، (مصر - ٢٠٠١)، ص ١٩٣.

(٢) إبراهيم علي طرخان: البرتغاليون في غرب إفريقيا، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، مج ٢٥، ج ١، القاهرة - ١٩٦٣م)، ص ٢٤.

(٣) طرخان: البرتغاليون، ص ٢٥.

(٤) باسيل دافيد سون: إفريقيا القديمة تكتشف من جديد، ترجمة: نبيل بدر وسعد زغلول، مراجعة: محمود شوقي الكيال، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة - د/ت)، ص٦٠.

(٥) رولاند أوليفر وجون فيج: تاريخ إفريقيا، ترجمة: عقيلة محمود رمضان، مراجعة: أحمد صوار، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة - د/ت)، ص ٥٩.

(٦) ج. دينيس و ش. لبيب: إفريقيا من خلال العلاقات بين القارات، بحث منشور في كتاب تاريخ إفريقيا العام، (اليونسكو - ١٩٨٨م)، (٦٦٨/٤).

(٧) E.J.MURPHY , History of African civilization ., (New york:1979), p. 273

(٨) Murphy, History, p. 275.

«فرّق تسد»، ومن ثمّ العمل على ترويج أقاصيص تشـــير إلى وحشـــية الأفارقة، وبثّها على لسان المبشّـــرين والمستكشـــفين والتجار؛ لكي تقنع الجميع بأنّ الرق بالنسبة للأفارقة هو إنقاذٌ لهم من خلال نقلهم إلى العالم المتحضّر[١]!

ولنجـــاح أولئك التجار، ومن ثمّ الشـــركات العاملة بتجارة الرقيق في مسعاهم، فقد عملوا على غلـــق الطريق أمام الأوروبيين الراغبين في الوصـــول إلى إفريقيا للعمل في تجارة الملابس أو المواد الغذائية وغيرها، وحاربوا أصحاب تلك التجارات وأبعدوهم عن القارة؛ لكي لا يكتشفوا سرّ عمل تجّار الرقيق، ولينفرد أصحابها بذلك الربح[٢].

وكان الرقيق الأســـود الذي اســـتولى عليه الأوروبيون قد عانى الكثيـــر، وخصوصاً خلال نقلهم إلـــى خارج القارة، وذلـــك بقيامهم بعزل الرجال عن النســـاء، وإيقافهم بشكل دائرة بعد أن كانوا قد ساروا لمسافة طويلة؛ بحيث يعجز بعضهم عن الوقوف، ويقف في وســـط الدائرة تجار الرقيق ليتفحصوا تلك البضائع البشـــرية مـــن الرجال وكذلك النســـاء، وليُنقلـــوا بعدها بالســـفن التي خُصّصت لتســـتوعب أكبر عددٍ ممكن من البشـــر، وربما أكثر من حمولتها؛ مما يولّد الزحام الشـــديد الذي ينتج عنه الأمراض وحالات الاختناق[٣].

وكانت السفن التي تقوم بنقل أولئك الرقيق قـــد أنيطت قيادتها بأشـــدّ الملاحين قســـاوة ومكراً؛ ليتمكـــن من التعامل مـــع تلك الأعداد من البشـــر الذين لا يجدون مكاناً للجلوس على الســـفينة، بل المكان المخصّص لكلّ بشرٍ واحدٍ

(١) محمد عبدالفتاح إبراهيم: إفريقيا من السنغال إلى نهر جوبا، مكتبة الأنجلو المصرية، دار الطباعة الحديثة، (القاهرة – ١٩٦١م)، ص ١٣٩.

(٢) دولاند أوليفر: موجز تاريخ إفريقيا، ترجمة: دولت صادق ومحمد السيد غلاب، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (القاهرة – د/ت)، ص ١٤٧.

(٣) الترمانيني: الرق، ص ١٥٦.

هو ما يكفي لوقوفه فقط، وبرغم ذلك يُجبر على التمدّد فيه، ومن ثمّ يتمّ شدّه بسلاسل مع مَن هو بجانبه، وإذا ما رأى القبطان أنّ السفينة معرّضة للخطر بسبب الحمولة الزائدة؛ فله أن يلقي في البحر مَن يشاء من الرقيق[١]!

وبرغم المعاملة السيئة التي تعامل بها الغرب مع الرقيق الأسود؛ فإنهم حاولوا أن يبعدوا مسألة البدء بتلك التجارة عن أنفسهم، ويلصقوها بالعرب، فيقول أحدهم إنّ ابن بطوطة تألّم كثيراً لأنه زار خلال رحلته المدن الزنجية، وشاهد أولئك السود الذين «تعوّد» أن يراهم رقيقاً، فقد رآهم أسياداً في بلادهم، وهو أمرٌ مزعج بالنسبة له[٢]، إلا أنّ الحقيقة غير ذلك إذ أنّ الرحالة ابن بطوطة وصل بلاد السودان برغبته وبتشجيع من السلطان المرّيني أبو الحسن[٣]، وقد شاهد خلال رحلته الكثير وفرح لبعضها، وضجر لبعضٍ آخر، لكنه لم يفرّق بين عبدٍ أو حرٍّ، ولم يحكم على الجميع بأنهم رقيق[٤].

وفي المقابل؛ فقد سجّلت تجارة الرقيق الأسود سجلاً من أحلك السجلات في تاريخ الغرب، ففضلاً عن أنّ الإفريقيين استعبد بعضهم بعضاً، وأنّ عدداً من تجار الرقيق العرب عملوا في تلك التجارة بقوة، فإنّ وصول الأوروبيين وتخطيطهم للأمر زاد من بشاعة المسألة، وخصوصاً على الساحل الغربي للقارة في مناطق خليج بنين وساحل الذهب[٥].

وربما كان للظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعيش فيها القارة الإفريقية دورٌ في وصول الأوروبيين، ونظرتهم السيئة حول السكان الأفارقة، فقد صوّروا المجتمع كأنه بعيدٌ عن الحضارة، وأنّ الصراع بين القبائل هو السائد، والاقتصاد قائمٌ على الزراعة البدائية والرعي، وأنّ الوقوع في الأسر أثناء الحروب والتحوّل إلى رقيقٍ أمر طبيعي، لذا فإنّ وصول الأوروبيين للمنطقة هو الحلّ!، فجاؤوا ومعهم السلاح والمال، وشجّعوا القبائل القوية على شراء السلاح لقتال الأعداء والحصول على رقيق، وبالتالي بيعه للغرب[٦].

ويشير الأوروبيون إلى أنّ الرقيق الأسود تمكّن بحكم القابلية الجسمانية أن يقاوم ويعمل؛ على عكس الهنود الذين تمّ استبعادهم، وبمرور الزمن كانت أعداد الرقيق الأسود قد تزايدت في «العالم الجديد» كما سمّاه الغرب، وإن كانت تلك الحياة دون رغبة أولئك الرقيق، كما أنّ الهروب من ذلك المكان كان أمراً صعباً، وقد وصلت أعدادهم إلى حوالي ٧٥,٠٠٠ عبد في بدايات القرن السابع عشر الميلادي في أمريكا الإسبانية، كما تمّ نقل ٥٠,٠٠٠ عبدٍ إلى البرازيل البرتغالية[٧].

---

(١) الترمانيني، المرجع نفسه، ص ١٥٧.

(٢) بوفل: الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، ترجمة: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة – ١٩٦٨)، ص١٢١.

(٣) أبو الحسن: هو أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، تولى الحكم بعد وفاة السلطان أبو سعيد المريني، وكان يسمّى بالأكحل للونه الأسمر، والذي اكتسبه من أمّه الحبشية، حكم البلاد حتى وفاته سنة (٧٥٢هـ/١٣٥١م). ينظر: ابن خلدون: العبر، (٢٨٦/٧-٢٨٧).

(٤) محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة المسمّاة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي، المطبعة العصرية، (بيروت – ٢٠٠٧م)، (٢٧١/٢)، وما بعدها.

(٥) اياناكورين براون: تاريخ الزنوج في أمريكا، ترجمة: م.عيسى، مؤسسة سجل العرب، (القاهرة – د/ت)، ص (١٧-١٨).

(٦) جهاد مجيد محي الدين: الآثار السلبية للرق في إفريقيا، بحث منشور في كتاب مسألة الرق في إفريقيا، ص (٥-٦).

(٧) muruphy , History , p. 276.

وكان لرأي الغرب في الرقيق الأسود (بكون الإفريقيّ فاقداً للإنسانية، وباسترقاقه سوف يحصل على حياة أفضل) تأثيرٌ سلبيٌّ كبيرٌ على القارة الإفريقية بشكلٍ كامل، فكان الإفريقي لا يسير على الساحل إلاّ وهو مسلّح خشية الوقوع في الرّق، وكان ما يُحزن الأفارقة أنّ بعض أبناء جلدتهم من المتعاونين مع الأوروبيين؛ أسهموا بشكلٍ أو بآخر في عقد الصفقات مع الأوروبيين لبيع مواطنيهم الأفارقة، إذ لم يكن هَمّ هؤلاء سوى الربح الماديّ المتحقّق من وراء ذلك العمل[١].

ونتيجةٌ لقناعة الغرب المسيحيّ بأنّ استرقاق الإفريقي جاء لخيره، من خلال تحويله من الإسلام أو الوثنية إلى المسيحية، والتي ستحوله من حالته السيئة إلى الإنسانية والرقي، فقد هيؤوا بعثات تنصيرية داخل إفريقيا تنتشر بين السكان الذين بقَوا، ولم يتمّ استرقاقهم خارج القارة، وكان الهدف الأول لتلك الحملات يتمثّل بإقناع الأفارقة أنّ العرب ما قدِموا سابقاً إلى القارة إلا ليخطفوا أبناءها ويذهبوا بهم بعيداً ليبيعوهم، وربما يكون ذلك القول قد أثّر في نفوس البعض من الأفارقة، وجعلهم ينظرون إلى العرب نظرة حقد[٢].

وربما يكون قلّة وعي العرب وجهلهم وقلّة دعاة الإسلام في القارة الإفريقية، وخصوصاً في إفريقيا الوسطى، قد ساعد الأوروبيين في مسعاهم، فقد كان الإفريقيّ محبّاً للإسلام بعاطفته، إلا أنّ ذلك لا يكفي أمام وسائل التنصيريين ودهائهم، كما أنّ هؤلاء استغلوا الظروف الصعبة التي يعيش فيها الأفارقة، ولاسيما الفقراء منهم، وهم كُثر، من خلال منحهم الأموال ومعالجتهم مقابل تحوّلهم إلى النصرانية[٣].

وبذلك نلاحظ أنّ الاختلاف في الرأي ظهر جليّاً في التعامل مع مسألة الرقيق عموماً، والرقيق الأسود المجلوب من إفريقيا خصوصاً، فموقف العرب كان نابعاً من رأيهم المتمثل بعدم التفريق بين البشر مهما كان جنسهم، بل المقياس هو التقوى، في حين كان رأي الأوروبيين بالرقيق الأسود- خصوصاً- يتمثّل في كونهم من طبقة دنيا لا ترتقي إلى مستوى البشر، وأنّ استعبادهم له فائدةٌ كبيرةٌ لهم من خلال تحويلهم إلى مصافّ البشر.

وفي الختام:

هل هناك شكٌّ في تحديد هوية المسؤول عن استعباد الأفارقة وتشريدهم وتدمير مدنهم وقراهم؟ فإذا ما أردنا أن نحكم على الفريقَيْن: (العربيّ) و (الأوروبيّ)، وإلى وقتنا الحاضر، نلاحظ أنّ الرقيق الأسود قد تحوّل بمرور الزمن إلى مواطنين مندمجين في المجتمع الإسلامي، أما مَن تمّ استرقاقهم من قِبل الأوروبيين فقد شُرّدوا وقُتلوا وأُخرجوا من بلادهم، والأعداد الكبيرة الموجودة منهم في أمريكا أكبر دليل على ذلك ■

(١) ROLAND Oliver , The Middle age of African History, p. 36 – 37.

(٢) إبراهيم النعمة: الإسلام في إفريقيا الوسطى، دار الأنصار، (القاهرة – ١٩٧٧م)، ص ٥٣.

(٣) النعمة، المرجع نفسه، ص ٥٤.